

انهيار دولة البطالسة



إعداد: هشام الجبالي

الناشر
الكتاب

مؤسسة دار البطل

YF
S

V

مرحبا بأصدقائي في كل بقعة من أرض مصر.
أسمى «نيل» وُجِدَتْ منذ أن شق النهر مجراه في أرضنا فجلب
لها الخصب والنماء، عشت كل هذه القرون بينكم أصحاب أجدادكم
القدماء في رحلات البناء الطويلة، وأرافق أباكم في مسيرة العمل
من أجل رقي مصر وتقدمها، أشاركهم أحزانهم وأسى لهزائمهم،
أسعد بإنجازاتهم وأشيد بانتصاراتهم، أعشق كل ما هو مصري
فأطوف بأرجاء البلاد شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، أبحث عن كل
جديد، عن كل بناء وتقدم، أقضى النهار أبحث أبنائها على بذل
المزيد من الجهد، وأمسى لأحلم لها بغد أكثر إشراقا ومستقبلا يملأه
الرقى والتحضر، أعتدت أن أصحاب الشيخ كثير النشاط والحركة
«تاريخ» كلما جاء لزيارة أرضنا، أقص عليه أخبارها وأقدم له
المساعدة ليسجل لها في أوراقه جهد أبنائها وشموخ حضارتها،
لهذا ستجدوني معكم عبر حكايات «تاريخ» وحوادث مصر
وأخبارها.



موسوعة تاريخ مصر

المحرر : هشام الجبالي

الجمع التصويري : المكتب العربي للمعارف

الإخراج : المكتب العربي للمعارف

الرسوم الداخلية : علاء حجازي

رقم الإيداع : ١٩٩٤/٥٤٤١

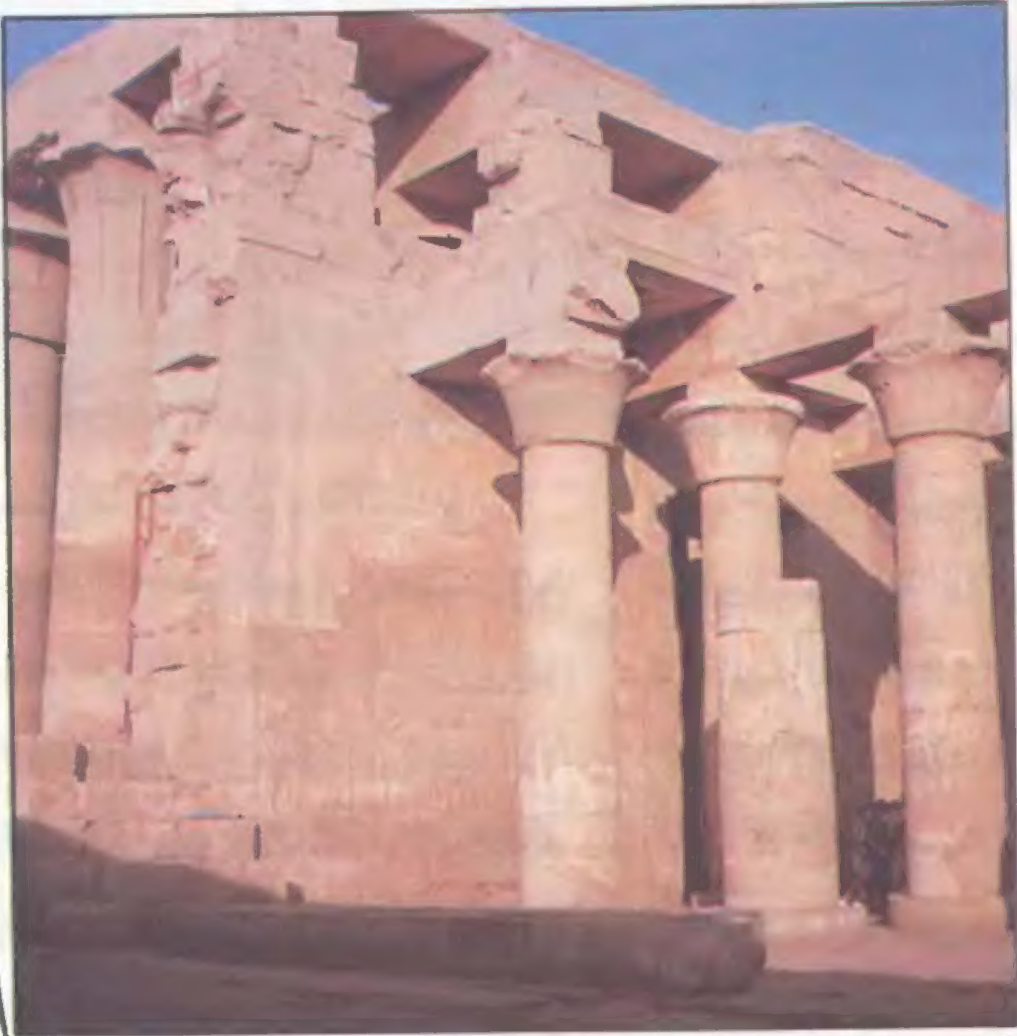
هاني طه - إيهاب وصفي

الترقيم الدولي : I.S.B.N:977-276-018-5

المراجعة اللغوية : شوقي ميكل

مؤلفات طه حسين

انهيار دولة البطالسة



إعداد: هشام كتيب حري
(شراء)

THECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية



THECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

التسجيل

٧٧٧٧٧٧



طوت بلادكم صفحات كثيرة من
المجد والفخار، حفلت بأسماء وأعمال
فراعنتكم العظام الذين علّموا الدنيا
مبادئ العلوم والفنون والآداب وقادوا
الإنسانية لأجيال طويلة على طريق
التقدم والمدنية والحضارة، وتجاوزت
بعد ذلك صفحات حكم الليبيين
والنوبيين والآشوريين وملوك سائس،
لينهى غزو الإسكندر لأرضها عهد
صراعها مع الإمبراطورية الفارسية
ويفتح لها صفحة جديدة تسجل
سطورها أنباء قيام دولة البطالمة.

والى جانب تأسيس الدولة
والإمبراطورية البطلمية حرص ابن
لاجوس وبطليموس الثانى والثالث من
بعده على تأسيس مركز حضارى
متميز فى عاصمة ملكهم الإسكندرية،
ليعود إلى مصر مع نهوض
الإسكندرية وتقدمها مشعل الحضارة
الذى كان قد انتقل إلى بلاد اليونان
بعد سقوط دولة الفراعنة، ويزداد على
ضفاف نهرها إشعاعاً وتألقاً.

فقد جاء بطليموس بن لاجوس إلى
بلاد الفراعنة نائباً عن ورثة
إمبراطورية الإسكندر المقدونى،
واستطاع بما امتلك من الطموح
والمهارة أن يستفيد من ثراء البلاد
وتقدمها فى تأسيس دولة البطالمة فى
الدلتا والوادي كقاعدة انطلق منها إلى
تكوين واحدة من أقوى الإمبراطوريات
التي اقتسمت ملك الإسكندر وفتوحاته

وفى العام الثالث والعشرين من
حكم بطليموس الثالث كانت زيارتى
السابقة لبلادكم، حيث أمضيت على



الإسكندر المقدوني

تضمنَ لنفسِها مقوِّماتِ البقاءِ وأسبابِ
التقدمِ والقوةِ، ومع نهضةِ بلادِ اليونانِ
تكوَّنتْ على السواحلِ الإيطاليةِ
مجموعةٌ من المدنِ اليونانيةِ، ظلَّتْ روما
إلى جوارِها دولةً مستقلةً تسرعُ
الخُطى صوبَ التوسعِ والسيطرةِ، فلم
يأتِ عامُ ٢٩٠ قبلَ الميلادِ حتى كانت
هذه المدينةُ الناشئةُ سيدةَ إيطالياِ
القويةِ، وشيئاً فشيئاً ازدادت مكانتها

أرضها ما يقربُ من ثلاثة عشر شهراً
قبلَ أن أرحلَ عنكم متابعاً عملي في
جمعِ الأخبارِ ومراقبةِ مسيرةِ الإنسانِ
في شتّى أرجاءِ العالمِ، ويعد أن
قضيتُ بعضَ الوقتِ في بابل أجمعُ
أخبارَ الدولةِ السلوقيةِ، انطلقتُ من
فوري إلى القارةِ الأوروبيةِ، وهناك
قضيتُ وقتاً طويلاً بينَ مشاهدةِ
ما يجري في بلادِ اليونانِ ومراقبةِ
ازديادِ قوةِ وصعودِ نجمِ روما، وهي
المدينةُ الواقعةُ في شبه الجزيرةِ
الإيطاليةِ في منتصفِ حوضِ البحرِ
المتوسطِ والتي لم يكُ لها قبلَ اليومِ قدرُ
يذكرُ بينَ دولِ وممالكِ الأرضِ، فلم تُك
شبهُ الجزيرةِ الإيطاليةِ كلها إلى وقتٍ
قريبٍ سوى أرضٍ موحشةٍ تمتلئُ
بالمستنقعاتِ والغاباتِ التي يقطعُ
الفلاحونِ الرعاةُ أشجارها للاستفادةِ
من الأرضِ وسطَ حياةٍ بدائيةٍ خَشِنَةٍ.
وفي عامِ ٧٥٣ قبلَ الميلادِ تأسَّستْ
روما، مدينةٌ تجاريةٌ صغيرةٌ تحاولُ أن

وعَظُمَ تأثيرُها على مايجرى حولها من أحداثٍ، فراحت تبحثُ لنفسِها عن دورٍ بارزٍ بين إمبراطورياتِ ودولِ البحرِ المتوسطِ فى نفسِ الوقتِ الذى ظهرت فيه قرطاجةُ ^(١) على الجانبِ الآخرِ من ساحلِ ذلكِ البحرِ قوةً صاعدةً تسعى إلى تأكيدِ قوتِها وفرضِ سلطانِها، فوقِ الاشتباكِ بين الدولتينِ الناهضتين وتتابعَت بينهما الحروبُ حيثُ حقَّقَ القائدُ القرطاجيُّ هانيبالُ الانتصاراتِ المتواليةِ على جيوشِ روما، لكنَّ الغلبةَ فى نهايةِ الأمرِ لم تكنِ إلا للرومانيين الذين استطاعوا أن يديروا دفعةَ المعاركِ ويحولُّوا هزائمَهُم المتكررةَ إلى انتصاراتٍ رائعةٍ توجَّتْ بالقضاءِ التامِّ على جيوشِ قرطاجةَ تحتِ أسوارِ مدينتِهِم فى موقعةِ زاما عام ٢٠٢ قبل الميلادِ، لتخرجَ روما من حروبِها مع قرطاجةَ أكثرَ قوةً وتحفُّزاً إلى فرضِ سيادَتِها على شواطئِ البحرِ المتوسطِ

(١) مدينة شمالى تونس.

الذى تتنازعُ سيادتهُ ثلاثةُ إمبراطورياتٍ عظيمةٍ هى الإمبراطوريةُ اليونانيةُ فى مقدونيا والإمبراطوريةُ السلوقيةُ فى بابلَ وإمبراطوريةُ البطالمةِ فى مصرَ.

وبعدَ موقعةِ زاما توجَّهتْ إلى القارةِ الآسيويةِ، حيثُ أمضيتُ مايقربُ من ثمانيةِ وثلاثين عاماً فى التنقُّلِ ما بين دولِ وبلدانِ الشرقِ الأقصى، حتى إذا ماعدتُ إلى روما من جديدٍ كان فى انتظاري الكثيرُ من الأخبارِ والمفاجآتِ، فلم يكدُ يمرُّ على وصولي إليها بضعةُ أيامٍ حتى جاء من يخبرُنِي بقدومِ الملكِ بطليموسِ السادسِ هارباً من مصرَ! نعم فقد فرَّ الملكُ البطلميُّ من بلادهِ ولجأَ إلى حُكَّامِ روما يشكو لهم أخاهِ الأصغرَ الذى ثار عليه واستولى على عرشِهِ!

ولأننى لا أعلمُ سوى القليلِ عمَّا جرى فى حوضِ البحرِ المتوسطِ طوالِ الأعوامِ التى قضيتها فى الشرقِ

الأقصى، لم أتوقف طويلاً أمام غرابة ما يحدث، بل أسرعتُ إلى الميناء حيث شاهدتُ كيف هبطَ ملكُ مصرَ المخلوعُ من إحدى السفنِ وهو يرتدى ملابسَ العامة، وكيف سار على قدميه في طرقاتِ المدينةِ قاصداً أحدَ المنازلِ المتواضعةِ ليقِيمَ في ضيافةِ رسّامِ روماني كان قد تعرّفَ عليه في الإسكندرية.

وفي منزلِ ذلك الرسّامِ قابلتُ بطليموسَ السادس، وسرعان ما



عملة فضية .. العصر البطلمي

نشأتُ بيننا علاقةُ الودِّ والصداقة فتعددتُ لقاءاتُنَا وكثرتُ أحاديثُنَا عن مصرَ وملوكِ البطالمة، وفي أحدِ هذه الأحاديثِ رحتُ أتوجّهُ إليه قائلاً: لقد أقامَ الملوكُ البطالمةُ على أرضِ مصرَ دولةً قويةً متحضرةً، خرجتُ بالمصريين من عهودِ الاضطراباتِ في ظلِّ الحكمِ الفارسيِّ إلى عهدٍ من الاستقرارِ والتقدمِ تحتَ رايةِ الحكمِ البطلمي، ومع هذا ظلَّ الشعبُ المصريُّ حبيسَ المعاناةِ والإحساسِ بالتبعيةِ وعدمِ الاستقلالِ نتيجةً تولّى اليونانيون جميعَ مراكزِ الحكمِ والإدارةِ وتفضيلهم على كلِّ طوائفه.

فقال: لم يفضلَ آبائي البطالمةُ الأوائلَ اليونانيين، إلا لأنهم عمادُ دولتهم والعنصرُ الأساسيُّ في تكوينِ جيوشهم وإداراتهم، وعلى طريقِ بناءِ دولةٍ قويةٍ كان لابدُّ من إعطاءِ هؤلاء اليونانيين بعضَ الامتيازاتِ

كمنحهم الإقطاعات الزراعية....

فقاطعته قائلًا: حقًا، فقد سيطر
اليونانيون على الجزء الأكبر من
أراضي مصر المنزرعة في الدلتا
والوادي.

فقال: لم يحدث شيء من هذا، لأن
الجانب الأكبر من الأراضي المصرية
كان ملكًا للدولة، حيث ورث أبائي
أراضي ملوك الفراعنة وضموا إلى
أملكهم أراضي المعابد الشاسعة
بجانب ما قاموا باستصلاحه لينضم
إلى ماسبق مؤلفًا ملكية خالصة للدولة
وملوكتها يديرها الموظفون اليونانيون
ويقوم على زراعتها عدد وفير من
الزراع المصريين، أمّا إقطاعات الجند
ورجال الإدارة فلم تكن يومًا الجانب
الأكبر من الأراضي المنزرعة في
الدلتا والوادي، بل إنها أيضا كانت
إلى وقت قريب ملكًا للدولة.

فقلت له: وكيف كان ذلك؟

فقال: لقد برع أبائي في معاملة

رجال حكوماتهم وجنود جيوشهم،
فمنحوا كل واحد منهم قطعة من
الأراضي غير المستصلحة ليقوم
باستصلاحها والاستفادة من نتاجها
مادام في خدمة الدولة، وبذلك وفروا
على خزائنها تسديد رواتب الجند
ورجال الإدارة في نفس الوقت الذي
أضافوا فيه إلى مجموع الأراضي
المنزرعة في البلاد أرضًا جديدة.

فقلت له: أتعنى أن هذه الإقطاعات
الزراعية كانت تعود إلى الملك مرة
أخرى عند انتهاء خدمة المستفيد منها؟
فقال: أجل، وقد كان من حق الملك
أيضا استردادها متى أراد، وظل ذلك
الحق ساريًا طوال عهد البطالمة
الأوائل، فلما أصاب دولتنا الضعف
والوهن منذ عهد بطليموس الرابع
تسرّبت الإقطاعات الزراعية من بين
أيدينا وتحولت مع مرور الأعوام إلى
ملكية خاصة لمن كان ينتفع فقط بما
تخرجه من حاصلات وثمار.



سويك التمساح .. رمز اليوم المقدس في العصر البطلمي

فقلت له: إن مصرَ بلدٌ زراعيٌّ عريقٌ
اهتدى أهله إلى غرسِ البذورِ وفلاحةِ
الأراضي على جانبيِ النهرِ منذُ
بداياتِ الإنسانيةِ الأولى، ولقد ظَلَّتْ
مِصرُ على الرغمِ من طولِ عهودِ
الفوضى التي أعقبت سقوطَ دولةِ
الفراعنةِ من أفضلِ الدولِ الزراعيةِ في
العالمِ، ولابد أنكم قد استفدتم من وفرةِ
ثروتها المائيةِ وخصوبةِ أرضها وجودةِ
محاصيلها في بناءِ دولةِ البطالمةِ، أليس
كذلك؟

فقال: بلى، فلأنَّ الزراعةَ هي الحرفةُ
الرئيسيةُ التي يعملُ بها أكثرُ سكانِ
البلادِ، ولأنها كذلك المصدرُ الأساسيُّ
لما تتمتعُ به من ثرواتٍ صناعيةٍ
وتجاريةٍ، كان اهتمامُ البطالمةِ بها
اهتماماً كبيراً، حيثُ اعتنوا بما خلفه
لهم الفراعنةُ من مشروعاتٍ زراعيةٍ
وساروا على نهجهم يشقُّونَ الترعَ
والقنواتِ والمصارفَ ويقيمونَ الجسورَ
والسدودَ والخزاناتِ..
فقاطعته قائلاً: لقد سار البطالمةُ

إذن على نهج الفراعنة، فلم يك لهم فضل الابتكار أو الإضافة.

فقال: كيف ذلك؟! إن البطالة لم يقوموا بأعمال الريّ كشقّ الترع وإقامة الجسور جرّياً على نهج الفراعنة العظام فحسب، بل اعتنوا كذلك بزيادة مساحات الأراضي المنزرعة، وتحديث آلات الفلاحة، فبعدما كان المصريون لا يعرفون سوى الشادوف لتوصيل المياه إلى الأراضي المرتفعة عرفوا في عهدنا السواقي والطنبور، كما أن لنا الفضل في إدخال معدن الحديد إلى البلاد بكثرة، ومن ذلك المعدن القوى راح المصريون يصنعون آلاتهم التي عادة ما كانت تصنع من الأخشاب كالنفوس والمناجل، ولأن أرض الفراعنة قد تميّزت منذ عهودها الأولى بزراعة الحبوب الغذائية والزيتية، إلى جانب البقول والكتّان وأنواع الفاكهة المختلفة، وجّهنا كلّ عنايتنا إلى زيادة إنتاج هذه

المحاصيل وتحسين صنوفها وخاصة محاصيل الحبوب الزيتية والكرام والقمح الذي نقوم بتصدير كميات كبيرة منه إلى بلاد اليونان وروما. فقلت له: وهل استمرّ البطالة إلى اليوم يعملون على زيادة مساحات الأراضي المنزرعة وتحسين صنوف حاصلاتها؟

فقال: إن الضعف والانقسام الذي أصاب دولتنا منذ بداية عهد بطليموس الرابع قد أثر تأثيراً كبيراً على نهضة مضر الزراعة، ثم أن التنازع حول العرش والسلطان لم يدع لنا فرصة لإظهار الاهتمام بشؤون البلاد، فأنا... وحتى لا أجدد على الملك المخلوع أحزان فراره من مصر، أسرعْتُ أدير دفة الحديث قائلاً: إن دار علوم ومكتبة الإسكندرية صفحة مشرقة بين صفحات أعمال البطالة تشهد لهم بتفوق دولتهم وريادتهم وسطّ شعوب العالم في شتى مجالات الآداب



إناء ملون .. العصر البطلمي

عظيمة في تدوين وحفظ أخبار ماضى
الأمم والشعوب حيث سارع الكثيرون
إلى الاهتمام بتراث الإنسانية وعلى
رأسهم جاء مانيتون المصرى الذى
دَوَّن ماضى الفراعنة وصان أعمالهم
من الاندثار، وفى الجغرافيا احتل
إراثوستنيس مكان الصدارة بغزارة
أبحاثه وأهميتها وخاصة تلك الأبحاث

والعلوم.

فقال: لم يدخر البطالمة جهداً فى
دعم دار العلوم والمكتبة التى ضمت
بين جنباتها أكبر وأندر ما أنتجته
العقل البشرى على اختلاف عهوده،
فقد حوت هذه المكتبة ما يُقدَّرُ
بسبعمائة ألف مجلد ما بين
مخطوطات علماء اليونان وحكمائها
وتراث الفراعنة وإبداعاتهم إلى جانب
كل ما هو قيّم وثمين من مؤلفات
الإنسان فى جميع أوطان الأرض،
وبفضل هذه المخطوطات والمؤلفات
ازدهرت دار العلوم وأبدع علماءها
وحكماءها، فخطوا بالإنسانية عدة
خطوات جديدة على طريق التقدم
والحضارة.

فقلت له: وكيف كان ذلك الازدهار؟
فقال: إن أسس دراسة الآداب على
قواعد ونظم علمية قد نشأت فى هذه
الدار التى شهدت تقدماً كبيراً فى
فنون الشعر والفلسفة والمسرح، وكثافة



التي قاسَ فيها محيطُ الكرة الأرضية^(١)، ولم يقتصرِ ازدهارُ دارِ علوم الإسكندرية على مجالاتِ الآدابِ فحسبُ، بل ازدهرتُ فيها أيضاً حركةُ العلومِ فبرع هيروفيلوسُ في علوم التشريحِ ووَضَعَ إقليدس وأبولونيس قواعدَ ومبادئَ علوم الرياضياتِ والطبيعة، وكان أرشميدس مكتشفَ قانونِ الكثافةِ النوعيةِ من أبرزِ العبقریاتِ العلميةِ التي تَأَثَّرَتْ بدارِ العلومِ وأثَّرتُ فيها وأُضَافَتْ إليها.

ومن يومٍ إلى آخرَ، توثَّقتِ العلاقةُ بيني وبينَ الملكِ بطليموسَ السادسِ حتى أنه قد وَعَدَنِي في أحدِ لقاءاتِنَا بأن يُهْدِيَنِي إن عادَ إلى حكمِ مصرَ قصرًا كبيرًا في الحىِّ الملكىِّ لأقيمَ فيه كلما ذهبتُ إلى الإسكندرية، ولم يمكثْ صديقى الملكُ فى روما طويلاً بعدما قرَّرَ حكامُها مساعدته على استردادِ

عرشِ البطالمة، فسرعانَ ما رحلَ إلى جزيرةِ قبرصَ ليكونَ قريباً من بلادهِ انتظاراً لليومِ الذى يتمكنُ فيه من العودةِ إليها.

وفى منتصفِ عامِ ١٦٣ قبلَ الميلادِ جاءتِ الأخبارُ تحمِلُ نبأَ عودَتِهِ إلى الحكمِ، فقرَّرتُ الذهابَ إلى مصرَ لألتقى بنيلٍ وأستكملَ معه التعرفَ على أخبارِ البطالمةِ من جانبٍ ولأنالَ ماوَعَدَنِي به بطليموسُ السادسُ من جانبٍ آخرَ، ولكن كان علىَّ أولاً قبلَ

(١) قدر إراتوستينيس محيط الكرة الأرضية بطول ٣٩٤٥٩ كيلومترا وأثبت العلم الحديث دقة تقديره إذ إن محيط الكرة الأرضية الحقيقى يقدر بطول ٣٩٧٧٩ كيلومترا.



الذهاب إلى أرض الفراعنة أن
أتعرف على أخبار مدُن وبلدان
الساحل الأفريقي، فتركت روما
متوجّهاً إلى أقصى شمال
غربى القارة الأفريقية وظللتُ
طوال ثمانية عشر عاماً أتنقّل
من منطقة إلى أخرى فى
اتّجاه الشرق حتى وصلتُ إلى

الإسكندرية فى مساء أحد أيام عام
١٤٥ قبل الميلاد، وفى الإسكندرية
انطلقتُ من قورى إلى الحى المصرى،
وهناك فى أحد المنازل الصغيرة كان
يقيم نيل الذى ما إن وقع بصره على
حتى راح يبادرُننى قائلاً: مرحباً بك يا
أبتى، لابد أنك قد بذلتَ جهداً كبيراً
فى البحث عَنّى والوصول إلى المنزل.
فقلت له: أجلك يا نيل، ولذلك لن تقيم
فى هذا المنزل بعد اليوم.

فقال متعجباً: وأين سأقيم إذاً؟!

فقلت له: سننتقل للإقامة عندى فى
الحى الملكى.

فقال: أتمتلك منزلاً فى الحى الملكى
يا أبتى؟

فقلت له: بل قصرًا كبيراً، سأسمحُ
لك أن تشاركنى الإقامة فيه ولكن ليس
قبل أن تقصَّ على جميع ماجرى فى
بلادكم منذ العام الثالث والعشرين
لحكم بطليموس الثالث وحتى اليوم.

فقال: لم يمكث بطليموس الثالثُ
بعد ذلك على العرش طويلاً، إذ
سرعان ما توفى فى عام حكمه
الخامس والعشرين تاركاً إمبراطورية
البطالمة فى أوج ازدهارها لولى عهده
بطليموس الرابع الذى تولى مقاليدَ

الحكم شاباً في مقتبل العمر، ولكنه على عكس بطليموس الثالث لم يتمتع بشيء يذكر من مقومات الحكم والقيادة القادرة على تدعيم مكانة الإمبراطورية البطلمية وصيانة أملاكها بين الإمبراطورية السلوقية في الشرق والإمبراطورية اليونانية في الشمال، وأمام ضعف الملك وخموله وعدم اكتراثه بشئون الحكم لم يكن من العسير على بعض رجال حكومته وعلى رأسهم وزيره سوسيبيوس أن يسيطروا عليه ومن ثم على مقاليد حكم الإمبراطورية واضعين أيديهم على خزائن ثرواتها ومواضع الرأي والقرار فيها، ولكنهم ما إن أحكموا سيطرتهم على البلاد حتى كان عليهم أن يواجهوا اختباراً عسيراً ويقفوا في وجه خطر داهم يهدد أمن الإمبراطورية وسلامتها.

فقلت له: أي خطر تقصد؟

فقال: تعلم أن أراضي فلسطين

ولبنان وجنوب سوريا، قد ظلت تحت حكم خلفاء بطليموس بن لاجوس على الرغم من كثرة الحروب والصراعات التي دارت حولها مع ملوك الدولة السلوقية في بابل، ومع أن الملك السلوقي حينئذ كان يعاني من اشتغال الاضطرابات داخل بلاده، إلا أنه كان محارباً طموحاً لم تمنعه اضطرابات بلاده من انتهاز فرصة ضعف القيادة في مصر لتحقيق حلم آبائه بانتزاع جنوب سوريا ولبنان وفلسطين من أيدي البطالة.

فقلت له: وكيف واجه بطليموس

الرابع إذن خطر الدولة السلوقية؟

فقال: بينما كان بطليموس الرابع

بعيداً عن كل شواغل الحكم لا يكاد يشعر بالخطر الذي يدق أبواب إمبراطوريته، كان على سوسيبيوس ورجاله أن يحافظوا على مكانتهم ويدافعوا عن سلامة العرش الذي أتاح لهم الثروة ومنحهم النفوذ والسلطان،



تمثال حجري للملك بطليموس الرابع

وأمام ضعف استعداد مصر الحربي وقلة مالديها من جنود قادرين علي القتال، راح سوسيبوس يستعمل دهاءه في كسب مزيد من الوقت، يساعد على زيادة الاضطرابات في داخل الدولة السلوقية تارة، ويسعى لمفاوضة ملكها مظهراً استعداداً للتخلي عن أراضي جنوب سوريا بغير حرب تارة أخرى، بينما هو في خلال كل ذلك يسرع في إعادة تقوية جيوش البلاد وزيادة أعدادها بكل ما يمتلكه من وسائل، حتى أنه حينما شق عليه إحضار المزيد من الجنود الأجانب، قام بتجنيد نحو عشرين ألف مصري وعهد إلى قادة الجيوش اليونانيين بتدريبهم وإعدادهم لخوض المعركة المنتظرة.

فقلت له: ومتى وقعت هذه المعركة

يانيل؟

فقال: ظل سوسيبوس يعد الجيوش ويدربها في سرية تامة طيلة

عامين كاملين كان الملك السلوقي خلاهما قد قضى تماماً على جميع مظاهر الاضطرابات والفوضى في بلاده وتأكد كل التأكد من مراوغة وزير مصر وعدم جدوى استمرار المفاوضات السلمية معه، فلم يضيع المزيد من الوقت وانطلق على رأس جيوشه إلى جنوب سوريا حيث استولى عليها وتابع تقدمه فوصل إلى مدينة غزة دون أن يواجه جيوش البطالمة التي لم تكُ قد أتمت بعد استعداداتها لخوض القتال، وبينما كانت جيوش السلوقيين تقترب من مدينة رفح، كانت الجيوش البطلمية قد انتهت لتوها من نقل جنودها إلى ميدان المعركة، ليتلاقى الفريقان في منتصف عام ٢١٧ قبل الميلاد جنوبي رفح ويدور بينهما قتال عنيف يظهر فيه منذ البداية تفوق السلوقيين وحسن استعدادهم وتنظيمهم، ولكن ما إن دارت الدائرة على البطالمة ووثق

أعدائهم من إحراز النصر حتى استبسل المصريون الذين لم يكُ قد مضى على تجنيدهم سوى أشهر قليل وأظهروا من المهارة والبراعة القتالية ما كان كافياً لأن يحسم المعركة لصالحهم حيث تراجع السلوقيون إلى شمال سوريا واحتفظ البطالمة بأراضي فلسطين ولبنان وجنوب سوريا.

فقلت له: لقد واصل البطالمة إذن المحافظة على تلك الأراضي بفضل الجنود المصريين، ولكن هل كانت هذه هي المرة الأولى التي يخوض فيها المصريون قتالاً تحت راية البطالمة؟ فقال: كانت هذه هي المرة الأولى التي يتاح لهم فيها المشاركة بعدد كبير قادر على التأثير في نتيجة المعارك، فسياسة البطالمة الثلاثة الأوائل قامت على عدم إشراك المصريين في وظائف الجيش المهمة، واكتفوا بأن يعهدوا لهم بأعمال النقل والتموين وماشابه ذلك



تمثال حجري لفناء من العصر البطلمي

يحفظ مكانتها كقوة لابد وأن يحسب لها حساب في محيط البحر المتوسط، واكتفت بالوقوف موقف الحياد وعدم الاكتراث الذي التزمته تجاه جميع

من الأعمال الثانوية، فلم يتعدوا يوماً تسليح بعضهم بالأسلحة الخفيفة للاستعانة بهم في حالة الضرورة القصوى، ولم يلجأ سوسيبيوس إلى الاعتماد على جنود مصر إلا حينما قل عدد الجنود الأجانب في الجيوش البطلمية وسرت في عروق من تبقى منهم دماء الضعف والتخاذل لاعتيادهم حياة السلم والبعد عن ميادين القتال.

فقلت له: حسنا يانيل، وماذا فعل بطليموس الرابع بعد موقعة رفح؟ فقال: بعد موقعة رفح التي فرضت على بطليموس الرابع فرضاً، لم تخرج جيوشه إلى ساحات القتال مرة أخرى طوال أعوام حكمه الثمانية عشرة، ولم يتعد نشاط سوسيبيوس ورجاله في سياسة البلاد الخارجية بعض الأعمال الهزيلة، حتى أنه لما قامت المعارك بين هانيبال القرطاجي وروما لم تحاول دولة البطالمة أن تجد لها دوراً فعالاً

من ثرواتها.

فقلت له: وكيف اندلعت الثورة بين

جموع المصريين يا نيل؟

فقال: لقد شعر المصريون منذُ

الأعوام الأولى لحكم البطالة بمدى

الظلم الذي وقع عليهم حينما خضعوا

لسلطان ملوك غرباء فرضوا على

بلادهم مجموعة كبيرة من اليونانيين

واضعين بين أيديهم مواردها وثروتها

بمنحهم أغلب وظائف الجيش

والإدارة، وما كان أحفاد الفراعنة

العظام ليقبلوا بأن تكون لهم المرتبة

الثانية على أرضهم بعد اليونانيين، وهم

إن كانوا قد اكتفوا بإضراب الزراع

والصناع والتجار منهم عن مزاوله

أعمالهم في عهد بطليموس الثاني، فإن

نيران ثورتهم ما لبثت أن ازدادت

اشتعالاً بعد عودة جنودهم من موقعة

رفع في عهد بطليموس الرابع،

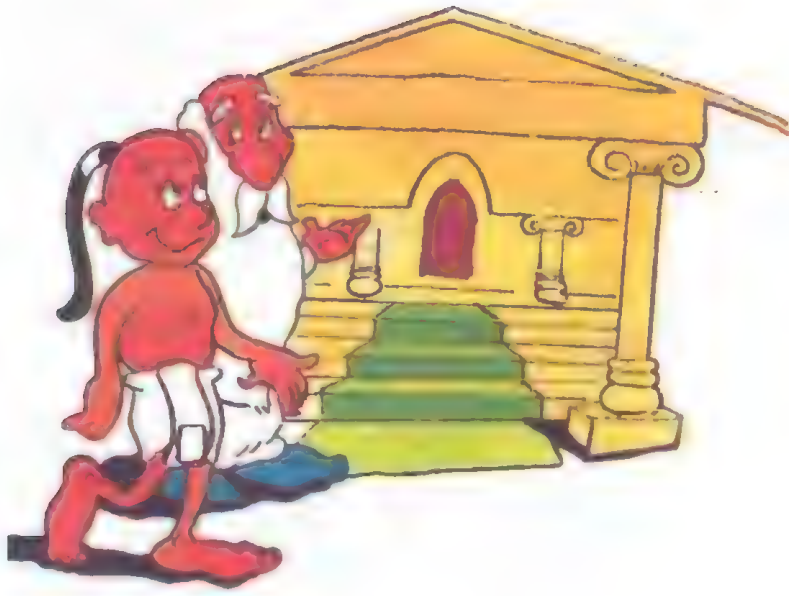
ليصطدموا بحكومة البطالة والجنود

اليونانيين على طول الوادي والدلتا



سرابيس .. رمز الإسكندرية المقدس

الصراعات القائمة من حولها، ولم يك
حال السياسة الداخلية في عهد
بطليموس الرابع إلا صدئ لو هن
وتخاذل السياسة الخارجية، فلم يك
يمضى على انتصار رفع وقت طويل
حتى اندلعت الثورة في كافة أرجاء
مصر، وخرج المصريون يطالبون
بحقهم في إدارة بلادهم والاستفادة



مطالبين بحقهم فى خيراتِ وطنهم
وطنِ آبائهم وأجدادهم.

فقلتُ له: ومن الذى جلسَ على
العرشِ خلفاً لبطليموسَ الرابع؟

فقال: رحل بطليموسُ الرابعُ تاركاً
العرشَ لوريثه بطليموسَ الخامسِ الذى
لم يكنْ قد تجاوزَ بعدُ السادسةَ من
عمره، وحتى لا تفوزَ الملكةُ بالوصايةِ
على ابنها الصغيرِ أخفى سوسيبوسُ
نبأ وفاةِ الملكِ البطلمى، إلى أن تمكَّنَ
من قتلِ زوجته، ثم راح يعلنُ نفسه
وأحدُ أتباعه وصيَّينِ على بطليموسَ
الخامسِ، ولكنْ جموعُ الشعبِ التى
علمتْ بمقتلِ الملكةِ ازدادتْ سخطاً
على سوسيبوسَ وأتباعه وتمادوا فى
إعلانِ العصيانِ والثورةِ، ووسطَ
الاضطراباتِ التى سادت جميعَ أرجاءِ
البلادِ التفتَ الجنودُ اليونانيونَ حولَ
أحدِ قادتهم وناصرهمُ الشعبُ المصرى
ضدَّ سوسيبوسَ، إلى أن تمكَّنَ ذلك
القائدُ من تولَّى مقاليدِ الوصايةِ، لكنه

سرعان ما أظهر ضعفه وعدمَ قدرته
على الخروجِ بالبلادِ من حالةِ الضعفِ
والفوضى، فلم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى
تمَّ عزله ليتبعه أحدُ رجالِ الإدارةِ
اليونانيين، وقد كان من الطبيعى مع
ضعفِ حكومةِ البطالمةِ واشتعالِ ثورةِ
المصريين فى الداخلِ أن تتعرضَ
أملكُ الإمبراطوريةِ فى الخارجِ
للانهيارِ والضياعِ.

فقلتُ له: وكيف كان ذلك؟

فقال: لم يفقدِ السلوقيونَ الأملَ فى

الاستيلاء على أملاك الإمبراطورية
البطلمية في آسيا بعد هزيمتهم في
موقعة رَفِح. بل راحوا يعنون العدة
استعداداً لمواصلة القتال من جديد،
حتى إذا ما علموا بما جرى في مصر
بعد وفاة بطليموس الرابع راحوا
يحققون آمالهم بالاستيلاء على جنوب
سوريا ولبنان وفلسطين، ولم يأت عام
١٩٨ قبل الميلاد إلا وكانت مصر قد
فقد جميع ممتلكاتها في آسيا ورجعت
بحدودها إلى حدود شبه جزيرة
سِينَاء.

فقلت له: وما مصير بقية أملاك
الإمبراطورية البطلمية؟

فقال: بينما كانت الإمبراطورية
السلوقية تستولى على أملاك البطالمة
في آسيا، كانت إمبراطورية اليونان
في مقدونيا تستولى على ماتبقى من
أملاكهم في أوروبا، فلم يتبق في يد
بطليموس الخامس من إمبراطورية
آبائه بالإضافة إلى أرض مصر سوى

إقليم بَرْقَة في الغرب وجزيرة قَبْرُص
في الشمال.

فقلت له: وما الذي حدث بعد ذلك؟
فقال: لم يكد السلوقيون ينتهون من
حروبهم مع البطالمة حتى دخلوا في
نزاع مع الدولة الرومانية، ولكي
يتفرغوا لنزاعهم مع عدوهم الجديد
كان لابد لهم من أن يأمنوا أولاً جانب
المصريين، فراحوا يسعون إلى عقد
الصلح مع الدولة البطلمية حتى تم لهم
ذلك بزواج كليوباترا الأولى في عام
١٩٥ قبل الميلاد.

فقلت له: وهل حافظ بطليموس
الخامس على صلحه مع السلوقيين، أم
انتهز فرصة نزاعهم مع روما
لاسترداد أملاكه في آسيا؟

فقال: حينما احتدم الصراع بين
روما والسلوقيين، تدخلت مقدونيا طرفاً
في النزاع حول سيادة البحر المتوسط،
بينما التزمت بولة البطالمة الحياد في
أول الأمر، وما لبثت أن انحازت إلى



أحد الملوك البطالة .. نقش على أحد جدران قبيلة

روما بعدما ظهر أنها
الطرف الأقوى،
ولكنها مع ذلك
اكتفت طوال الوقت
باستخدام جنودها
فى مواجهة ثورة
المصريين فى
الداخل.

فقلت له: وهل
أفلحت فى القضاء
على ثورة المصريين
يانيل؟

فقال: لقد واجه
بطليموس الخامس
وجنوده اليونانيون
ثورة المصريين بكل
ما أتيح لهم من قوة،
فحاصروا جموع

النوار وأرغموا قادتهم على التسليم،
إلا أن الثورة مع انحصارها فى آخر
عهد بطليموس الخامس لم تكُ قد

خمدت تماماً، علاوة على أنها إلى ذلك
الوقت كانت قد حققت بعض أهدافها
حيث اضطرت حكومة البطالة إلى أن

تزيد من توددها للشعب المصري
وكهنته^(١)، فبجانب إرغام اليونانيين
على تنويع الملك البطلمي على الطريقة
الفرعونية في منق، أدت الثورة إلى
إلغاء بعض الضرائب وتخفيض بعضها
الأخر، كما أدت أيضاً إلى زيادة عدد
المصريين في مختلف وظائف الجيش
والإدارة.

فقلت له: وهكذا كان انشغال
بطليموس الخامس بمواجهة الثورة
المصرية أحد الأسباب التي أدت إلى
تخاذل سياسته الخارجية، ولكن هل
استمر تدهور مكانة دولة البطالمة في
محيط البحر المتوسط بعد أن هدأت
حدة الثورة؟

فقال: لقد بدأ التدهور يصيب دولة
البطالمة مع بداية عهد بطليموس الرابع
واستمر في النمو طوال عهد
بطليموس الخامس الذي ما إن توفي

عام ١٨٠ قبل الميلاد حتى ازداد الأمر
سوءاً بوصول العرش إلى بطليموس
السادس الذي لم يك قد تجاوز
السابعة من عمره.

فقلت له: ومن الذي قام بأعمال
الوصاية على الملك الجديد؟

فقال: قامت الملكة كليوباترا الأولى
بأعمال الوصاية في أول الأمر، لكنها
سرعان ما رحلت لتنتقل الوصاية إلى
اثنين من رجال القصر البطلمي، ظلاً
يديران شئون البلاد بضعف ظاهر،
إلى أن قرراً في العام العاشر من
حكم بطليموس السادس إعداد حملة
عسكرية لاسترجاع أملاك البطالمة من
يد السلوقيين، ولكن الملك السلوقي لم
يتيح لهما الوقت وبادرهما بالهجوم،
فزحف بجيوشه من فلسطين وتمكن
من الاستيلاء على شرقى الدلتا ومدينة
منق دون عناء حربي كبير، وأمام

(١) سجل حجر رشيد الذي ساهم إسهاماً عظيماً في فك رموز اللغة الهيروغليفية شكر الكهنة المصريين
لبطليموس الخامس على رعايته لهم عام ١٩٦ قبل الميلاد.

انتصار السلوقيين ووقوع بطليموس
السادس في الأسر، أعلنت
الإسكندرية تنصيب أخيه الأصغر
ملكاً على البلاد وأسرعت تقوى

تحصيناتها استعداداً للمواجهة، وقبل
أن تنجح الجيوش السلوقية في حسم
المواجهة، استطاعت المدن اليونانية أن
تقوم بالوساطة بين الفريقين المتحاربين
ليرحل الملك
السلوقي وجنوده
عن مصر ويعود
بطليموس
السادس إلى
عاصمة ملكه
حيث استقر
الاتفاق بينه وبين
أخيه الأصغر على
الاشتراك في
الجلوس على
العرش.

فقلت له: وإلى
متى استمر ذلك
الحكم المشترك؟
فقال: لم يمض
عامان على



نقوش على جدران معبد إدفو .. أحد معايد البطالة



لوحه ذهبية تسجل ذكرى تأسيس السراييم باللغتين اليونانية واليهوديه

اشتراكيهما في الحكم، حتى راح الملك السلوقي يعاود هجومه من جديد، فاستولى على قبرص ثم مضى إلى مصر وحاصر الإسكندرية، ولكن روما التي كانت حريصة على ألا تتغلب إحدى قوى البحر المتوسط على الأخرى، سارعت بتهديد الملك السلوقي وأرغمته على الرحيل من مصر وقبرص معاً، لتتسارع الأحداث بعد رحيله حيث اندلعت نيران الثورة من جديد، وحاول أحد المصريين الذين كانوا قد ارتقوا إلى شغل بعض مراكز الصدارة في حكومة الإسكندرية أن يخلص بلاده من ضعف البطالمة وانقسامهم، لكن بطليموس السادس وقف في وجه محاولته وتمكن من القضاء على الثورة في العاصمة قبل أن ينطلق على رأس جنوده لإخضاع الثوار المصريين على طول الوادي والدلتا، وماكاد ينجح في إخضاعهم حتى علم بانقلاب شقيقه عليه فآثر النجاة بحياته وفر هارباً إلى روما.



تمثال من البازلت الاسود للعجل ايبس

فقلتُ له: لَقَدْ انهارَتْ دولة البطالمة
إذن بعدَ ضياعِ معظمِ أقاليمِها في
الخارجِ إلى الحدِّ الذي مكَّنَ روما
من السيطرةِ على جميعِ شئونِها.

فقال: أَجَلْ يا أبتى، وهناك الكثيرُ
من الأسبابِ التي كان لابدُ لها وأن
تؤدِّيَ إلى ذلك الانهيارِ، فبجانبِ
اندلاعِ الثورةِ بين صفوفِ المصريين
واضطرابِ البطالمةِ إلى الانشغالِ
بمواجهتِها، كان هناك ضعفُ

السياسةِ الخارجيةِ وسطَ ازديادِ قوةِ
مقدونيا وسلوقيا وظهورِ روما وتعاظمِ
سلطانِها، كما كان هناك أيضاً ضعفُ
ملوكِ البطالمةِ وعدمُ قدرَتِهِمْ على القيامِ
بأعباءِ الحكمِ، إذ إنه منذُ وفاةِ
بطليموسِ الثالثِ آلِ عرشِ البطالمةِ إلى
ملوكِ ضعافٍ أو صبيةٍ صغارٍ تركوا
الوزراءَ والأوصياءَ يتلاعبون بأقدارِ
إمبراطوريتِهِمْ لاهِمٌ لهم إلا تحقيقُ
مطامعِهِمْ والمحافظةُ على مكانَتِهِمْ
وثرَواتِهِمْ.

وامتدَّ بنا الحديثُ حتى صباحِ اليومِ
التالي، حيث أخذ نيلُ يُعدُّ أمتعتهُ
استعداداً للانتقالِ معي إلى قصرِ
الجديدِ، بينما رحتُ أتوجَّهُ إليه قائلاً:
لقد نفَّذْتُ روما وَعَدَها لبطليموسِ
السادسِ وأعادتهُ إلى حكمِ مصرِ،
أليس كذلك

فقال: بلى، فقد انتهزتُ روما فرصةَ
النزاعِ على عرشِ البطالمةِ لتقسيمِ
ماتبقى من إمبراطوريتِهِمْ، حيثُ مكَّنتُ



تمثال فخارى لسيدة بالزى اليونانى

بطليموس السادس من حكم مصر
وقبرص ولكن على أن يكون لأخيه
الأصغر حكم إقليم برقة.

فقلت له: وهل حدث شيء مهم بعد
عودة بطليموس السادس إلى الحكم؟
فقال: أراد بطليموس السادس بعد
عودته أن يكسب ود المصريين، فراح
يتقرب إلى الكهنة ويشيد المعابد، حتى
إذا ما وثق من هدوء بلاده واستقرارها
راح يستغل النزاع الذى قام فى الدولة
السلوقية حول الحكم محاولاً استرداد
أرض فلسطين ولبنان وجنوب سوريا،
وعلى الرغم من تحقيقه لبعض
الانتصارات فى بداية المعارك، فقد
هزمت جيوشه هزيمة قاسية وسقط
قتيلاً فى ميدان القتال بفلسطين منذ
بضعة أيام.

أسمى «تاريخ»، وجدت منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، معه عشت خطواته الأولى، وبين تجمعاته سعت متقللاً من بلد إلى آخر، وطنى حيث يجد الإنسان فى العمل والإبتكار، لأراقب مسيرة أعماله، أحصى أخباره، وأدون إنجازاته يوماً من بعد آخر وعاما تلو عام، تعددت زيارتى إلى كل أقطار العالم فكان لبلادكم نصيب وافر من هذه الزيارات، فيها شاهدت قيام أول حضارات الإنسان على أرضه، ولها سجلت الكثير من صفحات البطولات، وسجلات الإنجازات والرقى، واليوم وبعد كل هذه الأعوام الطوال أجلس بينكم لأحدثكم حديث مصر عبر الزمان نسترجع سوياً أحداث رحلاتى إلى أرض النهر والأهرامات والحضارة.



حقوق التوزيع فى مصر والعالم محفوظة



للمكتب العربى المعارف

١٠ شارع الفريق محمد رشاد - خلف عمر أفندى

ميدان الحجاز - مصر الجديدة - القاهرة

ت: ٢٤٢١٥٢٦

الناشر



«نيل وتاريخ»

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة للناشر ويحظر النقل، أو الترجمة، أو الاقتباس من هذه السلسلة فى أى شكل كان جزئياً، أو كلياً بدون إذن خطى من الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى كل الدول العربية، وقد اتخذت إجراءات التسجيل والحماية فى العالم العربى بموجب الاتفاقيات الدولية لحماية الحقوق الفنية والأدبية.

شخصيتان ملك لمنشورات الغالى وهاتان الشخصيتان مسجلتان ومحفوظتان ولايجوز استخدامهما إلا بتصريح خاص من المالك
«منشورات الغالى»

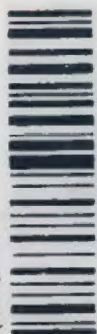


مصر وأسماء	مصر الحضارة
مصر وفارس	مصر الدولة
مصر البطلمية	بناء الأهرامات
ميلاد الإسكندرية	غروب شمس الأهرامات
إنشاء دولة البطلمية	العصر الذهبي
بين روما والإسكندرية	انتصار طيبة
مصر الرومانية	تأسيس الإمبراطورية
مصر القبطية	عصر التوحيد
مصر البيزنطية	الرحمة مسنة
مصر الإسلامية	سقوط دولة الفراعنة

الكتاب
المنشور

NC
62

Bibliotheca Alexandrina



0308071

5